حركة التأليف العلمي عند العرب المسلمين
"صناعة المخطوط ومقوماته"

The movement of scientificauthorshipamongArab Muslims"The manufactureof the manuscriptand its components"



العامي حفيظة[1*]

[1]جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر.

hafidha.lami@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2026/02/12 تاريخ القبول: 2026/03/12

****

ملخص:

قدمت الحضارة العربية الإسلامية العديد من العلوم والمعارف في شتى المجالات لحضارات العالم قديما، وكان لها الفضل العظيم في نموها وتطورها، فازدهرت صناعة المخطوط وفتح باب التأليف على مصرعيه، وفي هذا المقال العلمي نحاول تسليط الضوء على جهود العلماء العرب في مجال الكتابة والتأليف، ورصد القيمة المعرفيّة والعلميّة للمخطوط في التراث الإنساني، وإظهار دوره المنوط في إرساء دعائم الحضارة البشرية؛ لما قدّمه من علوم في شتى الميادين، فهو يعتبر بمثابة ثروة قومية يجب استثمارها وتطويرها بما يتناسب مع متطلبات العصر، والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي

الكلمات المفتاحية: التأليف المخطوطات؛ التحقيق؛ الحضارة الإسلامية؛ صناعة؛ العلوم.

Abstract:

The Arab-Islamic civilization provided many sciences and knowledge in various fields to the civilizations of the world in ancient times, and it had great credit for its growth and development, the manuscript industry flourished and opened the door to authorship wide open, and in this scientific article we are trying to shed light on the efforts of Arab scientists in the field of writing and authorship, monitoring the cognitive and scientific value of the manuscript in the human heritage, and showing its role in laying the foundations of human civilization; for what it provided in various fields, it is considered as a national wealth that must be invested and developed in proportion to the requirements of the Times, and the approach followed in this study is the historical method .

Key words: Authorship; manuscripts; investigation; IslamicCivilization; industry, science

*المؤلف المراسل

مقدمة:

إن تراث الأمم يعكس تطورها الحضاري وتقدمها في العلوم والآداب ويعبّر عن أصالتها وعراقتها وتراثنا العربي من المخطوطات يشكل جزءاً مهماً من تراث الأمة العربية الإسلامية وحضارتها من أبرز الحضارات الإنسانية وأشملها في العلم والمعرفة، وهو تراث غزير متنوع فقد امتد عبر حقبة طويلة من الزمن واكتسب موقعا مميزا بينها بما قدمه من المعرفة التي حوتها المخطوطات العربية وكان له الفضل في بناء الحضارة والتقدم البشري في العالم ،و تكمن قوة وعظمة الحضارة العربية الإسلامية في ظهور الإسلام بما أرساه من دعائم تحث على العلم ،ونهدف من خلال هذا الطرح العلمي إبراز أهمية المخطوط العربي و أثره المنوط في إثراء الحضارة الإنسانية بمختلف العلوم والمعارف ،والاشكالية التي نطرحها في هذا المقام هي :

ماهي القيمة الحضارية للمخطوط العربي في التراث الإنساني؟

والمنهج المناسب لهذه الدراسة هو المنهج التاريخي، وتوجد عدّة مفاهيم تندرج ضمن الإطار العام لصناعة المخطوط يجب الوقوف عندها وضبط مقوماتها.

الإطار المفاهيمي:

البحث:(Research) في عرفه اللّغوي مادة (ب.ح.ث)(زكريا، 1979، صفحة 204)أصل واحد يدل على إثارة الشيء و التقصي والتفتيش عن الأمر، والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر عنه، ويقال بحث عن الخبر؛ أي طلب علمه.

البحث العلمي (Research Scientific): وهو وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حلّ مشكلة محددة وذلك عن طريق التّقصي الشّامل والدّقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التّحقق منها والتي تتّصل بمشكلة محددة(عليان، صفحة 17).

البحث الوثائقي (Research Documentry): ويُعنى به مجموع المراحل والإجراءات المنهجية التي يتبعها الباحث والتي من خلالها يستطيع إيجاد وثائق ومصادر حول موضوع ما بإتباع إستراتيجية معيّنة في البحث(محمد).

التراث (Heritage): "هو تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها لنا التّاريخ كاملة أو مبتورة، فوصلت إلينا في صورة كتب مخطوطة أو لفائف أو كراسات وليس هناك حدود معيّنة لتاريخ أي تراث كان، فكل ما خلفه المُؤلف بعد حياته يعدُّ تراثًا فكريًا"(دياب، القاهرة، صفحة 12).

التّوثيق (documentation): "يعتبر فرعًا من فروع علم المكتبات وهو تجميع المعرفة المسجلة وترميزها وبثها على أن تعامل هذه المعرفة بطريقة شاملة وبإجراءات متكاملة، والاستعانة بالوسائل النّفسيّة والآلية، وبأساليب التّصوير العادي والمصغر، وذلك حتى تنال المعلومات الوثائقية أكبر قدر من الإتاحة والإستخدام؛ أي أنّ كلمة توثيق مثلها مثل كلمة مكتبات تقوم على الوظائف الأساسية وهي: الإقتناء والتنظيم والخدمة، فالتّوثيق يتضمن ترتيب وتصنيف المعلومات وتلخيصها و استخلاصها أحيانًا ونشرها وتوزيعها بشكل يُلبي حاجات الباحثين"(طباع، 1986، صفحة 118).

التّحقيق (investigation): "معناه إثبات القضية بدليل في مرجعه اللّغوي وحققت الأمر أو حققته، كنت على يقين منه، وتحقيق النّص معناه: قرأته على الوجه الذي أراده عليه مُؤلِفه، أو على وجه يقرب من أصله الذي كتبه به مُؤَلِفه "(التواب، 1985، صفحة 85).

المخطوط(manuscript): المخطوط في عرفه اللّغوي مأخوذ من خط بالقلم وغيره، وخط خطًّا؛ أي كتب أو صوَّر اللّفظ بحروف هجائيّة(البستاني، 1870، صفحة 563).

أمّا الدلالة الاِصطلاحيّة للكلمة فإنّ هناك إجماعًا بين القواميس المتخصصة في المكتبات على أنّ المخطوط هو الكتاب المكتوب بخط اليّد لتميّزه عن الخطاب أو الورقة، أو أي وثيقة أخرى خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة(النشار، 1997، صفحة 5).

علم المخطوطات (كوديكولوجيا**codicologie**)(الطوبي، 2014)هو دراسة المخطوط بوصفه قطعة ماديّة، وهذا المصطلح من وضع العالم الفرنسي "ألفونس دان **A. Dain** "، والكلمة مركبة من اللّفظة اللاتينية كوديكس"**codex**"؛ أي كتاب، ومن اللّفظة اليونانية "لوغوس**Logos**" بمعنى دراسة، وقد دخلت المعجم الفرنسي سنة **1959م**، ويراد به عند القدماء مفهوم الوراقة(خلدون، 1993، صفحة 334)وهي عملية الاِستنساخ والتّصحيح والتّفسير وسائر الشؤون الكتبية والمصنفات.

وعليه فعلم المخطوط هو العلم الذي يهدف إلى دراسة كل ما هو مكتوب في الهوامش من شروح وتصحيحات وما إلى ذلك من معلومات عن الأشخاص الذين تملكوه، أو نسخوه أو قرؤوه أو استعملوه، ثم الجهة التي آل إليها والمصدر الذي جاء منه، ثم العناصر المادية المتعلقة بصناعة المخطوط من: ترتيب وتوريق وترقيم وغير ذلك، ثم تاريخ المجموعات ووضع القوائم والفهارس العلمية والكشافات وفهارس الفهارس وغيرها(الطوبي، 2014، صفحة 14).

٣.التراث العربي الإسلامي ومكانته بين الأمم:

كانت الحضارة العربية الإسلاميّة حلقة اِتّصال بين تراث اليونانيّة القديمة، وبين اللّاتينية الحديثة ممّا مكن أوروبا من إرساء حضارتها الراهنة والتي تحمل سمات التطور والرقي، فمثلاً: كانت مؤلفات الأطباء العرب وتجاربهم تشكل جسوراً عبر عليها الطب الإغريقي إلى أوروبا مصبوغًا بالصبغة العربية أضافت إليه واِستذكرت عليه(الطناحي، 1404، صفحة 16)

فيقول المستشرق الإنجليزي **نكلسون Nicholson** (1868م-1945م):(مستشرق إنجليزي، تخصص في التّصوّف والأدب الفارسي)"وما المكتشفات اليوم لتحسب شيئًا مذكورًا إزاء ما نحن مدينون به للرّواد العرب الذين كانوا مشعلاً وضّاء في القرون الوسطى المظلمة في أوروبا"(الطناحي، 1404، صفحة 16).

وقد أعجب الكثير من العلماء المستشرقين الغربيين بعظمة التراث العربي المخطوط وأثره المنوط في تطوير العلوم وإرساء الثقافة العالمية فاِنكبوا على إعداد البحوث والدراسات لإبراز القيمة العلمية والمعرفية له ومنهم :"**دونكان بلاك ماكدونالد "Macdonald Duncan Black**" (1863م-1943م) وهو مستشرق أمريكي ولد في إنجلترا وكان عضوًا مراسلاً في المجتمع العلمي العربي بدمشق، وقد وجد هذا

المستشرق أنّ الغرب تجاهل في فترة من الفترات مدى تقدّم العلوم العربية الإسلامية ورأى أنّه لم يقدرها التّقدير الذي تستحقه، رغم ما قدمه التراث العربي للفكر الإنساني بصفة عامة ولتاريخ الحضارة والتّطور العلمي"(زكي، 1999، صفحة 14).

وهذه الشهادة القيمة من طرف هذا المستشرق تبين وبوضوح المكانة العالية للمخطوط الإسلامي بين الأمم، فألفت حوله كتبًا عديدة في الوطن العربي لإبراز فضله على الثقافة العالمية، كما ألف الغربيون كتبًا جمّة حول هذا التراث واستطاعوا أن يطلعوا العالم الغربي على أهميته من خلال التّحقيق والدراسة والترجمة، والأمثلة في هذا الباب عديدة نذكر منها ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:(زكي، 1999، صفحة 14، 15)

- **كتاب**: مع المخطوطات العربية **لكراتشكوفسكي** الروسي "**Krach Kovsky** "(1883م-1951م).
- **كتاب**: تاريخ العلم **لجورجسارتون**" **George sarton**" (1884م-1956م).
- **كتاب**: فضل الأندلس على ثقافة الغرب **لخوانفير نيتخنيس**" **Joain Vernet Genès**" (1923م-2011م).

وما نلاحظه أن حركة الاستشراق في الوطن العربي كان لها الفضل في حفظ التراث الاسلامي وذلك : " منذ اِستقامة عود الاستشراق وتكوّنت لديه العراقة، وتحوّل من مجرّد هدم إلى أداة لها كيانها ومدارسها وفئاتها ومنطلقاتها وأهدافها هذا في الوقت الذي تأخر فيه العرب والمسلمون عن خدمة هذا التراث خدمة علميّة وماديّة حتى خُشي على ضياعه من بينهم عندما أصبح في كثير من دور الكتب قطعًا متخفيّة تباع خفيّة لمن يدفع أكثر، ممّا أدى ببعض المهتمين إلى تسويغ سرقة بعض المستشرقين للمخطوطات مادام السارق يحترم هذه المخطوطات ويحرص على صيانتها ويقدر قيمتها العلميّة في خدمة الحضارة الإنسانيّة"(إبراهيم، 2003، صفحة 21).

ولا يمكننا أن نعتبر التراث مخزونا ماديا فقط وإنما هو بمثابة الكيان المستقل بذاته له هويته ومقوماته ويمتلك آليات لتحقيقه و لكي نلحق بركب الدول النامية علينا أن نبعث هذه الثروة العلمية من جديد ،فتجديد التراث حتمية لا مفر منها ويقع هذا الأمر على عاتق المؤسسات والهيئات العلمية التي تهتم بأعمال الببليوجرافيا وكذلك فئة العلماء الذين يعنون بفن صناعة المخطوط وعلم التحقيق إجمالا ، ويشهد التاريخ بوجود العديد من المخطوطات التي تم تزييفها عمدا أو أتلفت لظروف طبيعية أو تعرضت للسرقة ولولا هذه النخبة التي قامت على أعمال هيكلة واعادة بناء هذه المخطوطات لما وصلت إلينا هذه الفنون من العلوم، لذلك على الباحثين في هذا المضمار التكافل ومواصلة العمل لتحقيق التنمية الحضارية وفي هذا السياق علينا الاستفادة من تاريخنا الاسلامي وما قدمه في باب الارساء الحضاري والتنمية العلمية وذلك منذ ظهور الدين الجديد 'الإسلام' .

٤.صناعة المخطوط ومقوماته:

وسنعرض في هذا المقام كيف تحول العرب من حياة البدو والترحال إلى حياة التمدن والحضارة ولكن قبل ذلك علينا أن نعود بالتاريخ إلى العصر الجاهلي وقبل نزول القرآن كيف كانت حياتهم؟

"لم يكن للعرب قبل الإسلام علم مدوّن ولا فن ولا أدب مكتوب، وكانت الروايات والأشعار والأخبار والأنساب تتداول بينهم شفاهة خلال عمليات التجارة وحراسة القوافل أو في الأسواق العامة، إلاّ أنّها لم تكن بالاتصالات الفكرية التي تساعد على الإبداع والتطور والتغيير نظرًا لحياة البداوة والترحال الدّائم وإعتمادهم المطلق على الذاكرة وما قد يشوبها من خطأ أو نسيان، أمّا ما يلفت النظر في قصة كتابة المعلقات ، وتعليقها في الكعبة أنّها رواية أثارت جدلاً طويلاً وإختلف حولها القدماء والمحدثون، ولو صحّت هذه الرواية لوجدنا تسمية المعلقات أو المذهبات في أقدم المصادر التي عالجت موضوع الشعر العربي مثل: المفضليات، وجمهرة أشعار العرب"(الحلوجي، 2001، صفحة 2001).

وكذلك نجد خلافات أخرى منها اختلاف الرواة حول عدد أبيات كل معلقة من المعلقات، ولو أن هذه الروايات ثابتة لما اختلف الناس حول أصحابها وعددها ، كما تحيلنا ومن جهة أخرى بعض الدراسات أن الكتابة بماء الذهب لم تكن موجودة في العصر الجاهلي ، ومعظم الأحاديث التي رويت عن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لم تشر إلى أن هناك معلقات وجدت على باب الكعبة أثناء تطهيرها من الأصنام ، وهنا نستنتج أن هذه الأشعار كانت تنقل من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشفهية وهذا ما بينه عبد الستار الحلوجي في كتابه المخطوطات والتراث العربي .

وعليه فكل هذه العوامل مجتمعة تؤكّد حقيقة هامة وهي أنّ تلك القصائد الجاهلية لم تكتب ولم تعلق على الكعبة وإنّما كانت تستوعبها الصدور ويتناقلها الرواة عبر المكان من قبيلة إلى قبيلة وعبر الزمان من جيل إلى جيل.

5. أدوات الكتابة العربية:(النشارا.، صفحة 8)

قبل أن يعرف العرب صناعة الورق – في منتصف القرن الثاني للهجرة استخدموا مواد كثيرة للكتابة فكتبوا في العصر الجاهلي على العشب والكرانيف والعظام، واللحاف والجلود والمهارق وهي جميعها مشتقة من بيئتهم الصحراوية.

وفي عصر عمر بن الخطاب إستخدم العرب مادتين جديدتين هما القباطي وهو نوع من النسيج العصري كان يتّخذ من الكتّان، وأمّا أوراق البردي المصري فقد كانت المادة الجديدة التي فرضت نفسها على الكتابة العربية.

وفي العصر العباسي استعمل العرب مادة جديدة للكتابة هي الورق ومن المعروف أنّ إختراع الورق تمّ في الصين سنة 105م، ودخلت صناعة الورق حياة العرب في عام 132هـ/751م في زمن الرّشيد.

وكانت صناعة الورق وانتشاره حدثًا مهما في تاريخ الكتاب العربي المخطوط؛ حيث أنّ بداية عصر المخطوط كانت في الحقيقة مع بداية تصنيع الورق وإنتشاره، أمّا الأدوات التي كان العرب يكتبون بها مخطوطاتهم فقد تطورت هي الأخرى بتطور الزمن وتبدل الظروف التي مرّت بالمجتمع الإسلامي، فقبل أن يعرف العرب الأقلام كانوا يستعلمون آلات حادة ينقشون بها كلماتهم في الحجارة أو على الرّحال.

كما كانوا في بعض الأحيان يكتبون بمادة طباشيرية أو فحميّة أو رصاصيّة، وأمّا القلم كان يسمى المزبر أو اليراع وكتب به العرب في الجاهليّة وصدر الإسلام.

٦. حركة الكتابة والتأليف عند المسلمين:

انتشرت الكتابة في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وبظهور الإسلام بدأت الدعوة إلى الدين الجديد فظهرت نخبة جديدة من الصحابة من كتاب الوحي وسرعان ما انتشرت الكتابة وازدهرت ولكن لما خشي على القرآن أن يخلط بينه وبين ما سواه أمر عليه السلام بتدوين القرآن فقط وذلك حفاظا عليه

ولكن شكل الكتابة العربية في ذلك الزمن كانت مجردة من الشكل والتنقيط حتى عهد بني أمية استحدثت فيه النقط وبالرغم من ذلك كان يصعب على العامة القراءة بسبب كثرة النقط ولن تم تعديل الأمر فيما بعد.

"ففي هذا العصر بدأت بواعث الخوف من اللّحن في القرآن تظهر شيئًا فشيئًا حتى فرض على المسلمين أن يبدؤوا بتشكيل آيات المصحف قبل أن يفكروا في إعجام حروفها؛ لأنّ القرآن لم يكن يحفظ من صحف مكتوبة، وإنّما كان يصل إلى عقول المسلمين وأفئدتهم بطريق السماع، ونتيجة لهذا قام **أبو الأسود الدؤلي** البصري **(ت69هـ)** بنقط المصاحف نقط إعراب في عصر عمر أو في عصر معاوية على خلاف في الروايات، ومن البصرة اِنتقل النقط إلى المدينة ومنها إلى المغرب وبلاد الأندلس، وكان نقاط المدينة وأهل الأندلس يستعملون اللّون الأحمر في نقط الحركات والسكون التّشديد والتّخفيف، ويجعلون الأصفر للهمزات خاصة، في حين كان بعضهم يستعملون الحمرة للحركات والخضرة للهمزات والصفرة لشدة"(الحلوجي، 2001، صفحة 71) .

ولكن عملية القراءة كانت صعبة جداً وذلك بسبب اجتماع نقط الإعجام مع نقط الإعراب فأصبح من الضروري تيسير عملية الكتابة العربيّة وتمت على يد **الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت791هـ)** في العصر العباسي الأول.

وهكذا نستطيع أن نقول: ومع حلول القرن الثاني للهجرة ازدهرت العلوم اللغوية وتطورت ونمت أكثر مع ظهور حركة النقل والتّرجمة، فظهرت بيوت الحكمة فكانت أوّل مكتبة ضخمة في تاريخ العرب "خزانة الحكمة" التي أقيمت في عهد الخليفة المأمون (ت218هـ) وكانت ملتقى العلماء وطلبة العلم من كل بقاع البلدان الاسلامية يتدارسون فيها ويؤلفون في مختلف المعارف.

7. أوائل التصانيف:

بعد الفتوحات الإسلامية واتساع رقعتها اختلط العرب بالعجم فخافوا من انتشار العجمة بين قراء القرآن وبالتالي الوقوع في الزلل في فهم آياته فأول ما تم التأليف فيه علوم اللغة وذلك بوضع القواعد التي تحفظ نظام الكتابة والنطق ثم ظهرت الحاجة إلى التأليف في علوم الحديث والتفسير ثم باقي العلوم، ونلاحظ أنه قد تم إنشاء ٨٤ علما فقط لخدمة القرآن الكريم وعرفت بعلوم القرآن ثم ظهر علم التحقيق.

"ولم تنشأ الحاجة إلى هذا العلم عند العرب إلاّ عندما قلّ الاِعتماد على الرواية الشفويّة في تحصيل العلوم، فقد كان الشّك في الكلمة المدونة، وعدم الثّقة بما هو مكتوب هو السبب في أنّهم لم يكونوا يجيزون لأحد أن

يقرأ لتلاميذه شيئًا من كتاب معيّن إلاّ إذا كان قد قرأ هذا الكتاب على مؤلفه، وحصل من شيخه على إجازة برواية هذا الكتاب أو ذاك، وقد بقيت لنا هذه الطريقة في قراءة القرآن، إلاّ من تلقاه من شيخ من الشيوخ الذين حفظوه عن شيوخهم بالتلقي الشفوي جيلاً بعد جيل "(الحلوجي، 2001، صفحة 84).

وضبطت هذه الروايات الشفويّة ووضع العلماء قواعد لطرق أخذ العلم وتحمله، وسادت هذه الطرق في القرون الأولى للإسلام، وكانوا لا يقبلون من أحد أن يأخذ علمه من الكتب وحدها ويسمون من يفعل ذلك بالصحفي؛ أي الذي يأخذ علمه من الصحف بلا سماع من الشيوخ، وبفضل الفتوحات الإسلامية تزاوج الفكر العربي بأفكار ثقافات أخرى بلغت شأوًا بعيدًا من التّقدم والحضارة، وبفضل هذه المثاقفة نمت بواكير حضارة راقيّة أخذت شكلها النهائي وآتت أكلها في العصر العباسي أولاً والعصر الأندلسي بعد ذلك(هارون، 1998، صفحة 13).

وبعد فترة الانفتاح الإسلامي على بقاع الأرض دخلت إلى حضارة العرب العديد من العلوم الغريبة على ثقافتهم مثل علوم الفلسفة والمنطق من اليونان والاغريق ففي البداية خافوا على دينهم

وذلك لمنع السلف الخوض في مثل هذه الأمور فكانت الأوضاع الدينية والسياسية غير مستقرة في بادئ الأمر، ولكن سرعان ما انفتحوا على هذه العلوم بل وطورها وساقوا مناهجا بما يتناسب مع النسيج الاسلامي.

" ولم يمض وقت طويل حتى سادت اللّغة العربيّة جميع هذه الشعوب المغلوبة فتخلت عن لغاتها المحليّة، وأخذت تتكلّم باللّغة الجديدة حتى أصبحت اللّغة العامة لجميع هذه الشعوب العريقة ولقد أيّدت مؤلفات عربية كثيرة، هذا التزاوج والإختلاط بين العرب وهذه الشعوب، وذكرت العديد من كتب التراجم والفهارس أسماء كثيرة من العلماء الذين أثّروا في الحضارة العربية، وأغنوا الفكر العربي بمنجزات علميّة رائعة نجد ذكرهم في كتاب كالفهرست **لابن النديم** (ت384هـ)، وفتوح البلدان **للبلاذري** (ت279هـ)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء **لابن أبي أصيبعة** (ت1270م)، وتاريخ الحكماء **لابن القفطي** (ت1248م) وغيرهم"(التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، صفحة 16).

وكان أول نقل (الترجمة) في الحضارة العربية على يد **خالد بن يزيد بن معاوية** (ت85هـ/704م) عندما قام **اصطفت** القديم بنقل كتب الصنعة له، كما كان خالد ين يزيد بن معاوية أوّل من ترجم له كتب الطّب والنجوم وكتب الكيمياء، إلاّ أنّ حركة الترجمة في العصر الأموي كانت ضيّقة محدودة وتعتمد على الجهود الخّاصة والرغبة الفردية وكان ذلك قبل عام (132هـ)، والعصر العباسي (133هـ/ 656م-750هـ/1258م) اِنتعشت حركة الترجمة وتوّسعت بشكل هائل في أيامها، واِستمرت ما يقرب من مائة وخمسين عامًا، فكانت فترة اِزدهار ونشاط في ترجمة علوم اليونان والفرس وغيرهم إلى العربية، وما إن جاء القرن الرّابع الهجري (العاشر الميلادي) حتى كان العالم الإسلامي يمتلك ترجمات عربية لأشهر مخلفات اليونان في العلوم الفلسفية.

وفي زمن الدّولة العباسيّة قام **عبد الله بن المقفع** (ت142ه) بأوّل ترجمة لبعض كتب السلوك إلى اللّغة العربيّة ووضع كتابه المشهور كليلة ودمنة مستندًا إلى قصص فارسيّة وهنديّة، وكانت حصيلة ذلك نشوء حضارة ذات طابع أصيل يتميّز بالديمومة وبعناصر تختلف عن الحضارات السّابقة واللّاحقة، وهذا ما يميّز الحضارة العربيّة فإتّسمت بالشمول والعمق والأصالة(الرحمن، 1977، صفحة 16).

وقد وفرّت حركة التّرجمة والنقل مادة حضارية أتاحت لعلماء العصرين الوسيط والحديث إستكمال ابداعات العلماء من إختراعات وإبتكارات وتطورات علميّة في شتى الميادين، فقد عرف الغربيون هذه الترجمات سواء كان ذلك بنصها العربي أو بترجماتها اللّاتينية وغيرها من اللّغات، فقد إهتم علماء أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي بإحياء الآداب اليونانيّة واللاّتينية، وكانوا إذا وجدوا كتابًا من كتب القدماء قاموا بطبعه ولا يبحثون عن النسخ الأخرى لهذا الكتاب، ولا يُصححون إلاّ الأخطاء البسيطة، فلما إرتقى علم الآداب القديمة ،عمدوا إلى جمع النسخ المتعددة لكتاب من الكتب القديمة وإلى المقابلة بين هذه النسخ وبذلك هم يختلفون عن العرب في منهج التحقيق(الرحمن، 1977، صفحة 17).

"وكلما تخالفت النسخ في موضع من المواضع إختاروا إحدى الروايات المختلفة ووضعوها في نص الكتاب وقيّدوا ما تبقى من الروايات في الهوامش ولكنهم مع ذلك تعمدوا إنتقاء المهم منها، إلاّ أنّهم في كل ذلك لم يكن لهم منهج معلوم ولا قواعد متبعة، ومازال الأمر كذلك إلى أواسط القرن التّاسع عشر حين وضعوا أصولاً علميّة لنقد النّصوص، ونشر الكتب القديمة، وأوّل ما وصلوا إليه من هذه القواعد كان مستنبطًا من الآداب اليونانيّة واللّاتينيّة ثم من آداب القرون الوسطى الغربيّة، فألفت المقالات والكتب في فن نقد النّصوص"(التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، صفحة 15).

ونستشف من هذ الطرح أنّ العلماء العرب كان لهم الفضل الكبير في نقل وترجمة العلوم الأوروبية القديمة، وذلك في الوقت الذي كانت تعاني فيه أوروبا من عصور الظلام والانحطاط فإزدهرت الحضارة الإسلاميّة نتيجة لجهود هؤلاء الذين نشطوا ترجمةً وشرحًا وتعليقًا وتصنيفًا، وأضافوا مناهجا جديدة.

فالإسلام كان له الأثر البالغ في نمو ورقي الحضارة الإسلامية؛ فأول ما نزل من القرآن الكريم كلمة اقرأ وفيها دلالة على الحث على طلب العلم و تكمن سر وعظمة هذا الكتاب المبين في رسالته الإنسانية الموجهة إلى كل البشر فهو يحمل العديد من الشرائع التي تنظمهم وتضمن لهم الهداية والرقي ، يقول الله عزّ وجل:﴿ اَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ اِلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضِ وَمَا خَلَقَ اَللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف 185]، وقال أيضًا سبحانه وتعالى:﴿اَفَلَمْيَنظُرُوٓاْ إِلَي اَلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَاوَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴾[ق الآية 6]، ونوّه القرآن الكريم بشأن العلم والعلماء فقال الله تعالى:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِےاِلذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ ﴾[الزمر الآية9]، وقوله أيضًا: ﴿يَرْفَعِ اِللَّهُاُلذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالذِينَ أُوتُواْ اُلْعِلْمَدَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة الآية 11]، وأيضًا يقول الله عزّ وجلّ :﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه الآية 114].

والحق أنّ القرآن لم يفرّط في شيء ؛ فقد جاء للإنسانيّة بكل ما فيه خيرها وسعادتها، وكان شرعه لها محكمًا وعامًّا حتى يكون صالحًا لكل زمان ومكان، فقال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِےاِلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٖۚ ﴾[الأنعام، الآية 38]، ومن الخطأ أن يعتبر البعض القرآن الكريم مجرّد كتاب ديني يبشر بعقيدة جديدة،

إنّه في حقيقة أمره ظاهرة حضاريّة كبرى بأوسع ما يعنيه لفظ الحضارة من سمو روحي وفكري واجتماعي إلى جانب قدسيته العظيمة، ونستطيع أن نقر بواقعيّة وأمانة أنّ القرآن الكريم يمثل حجر الزاوية في بناء أعظم حضارة عرفتها البشريّة طوال العصور الوسطى. (27)

فكان للعلماء المسلمين الكثير من الاسهامات في مجال العلوم المختلفة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

في مجال الطّب نجد كتاب **الحاوي للرازي (ت313هـ)**، المؤلف من عشرين مجلدًا يجمع كل المعلومات الطبيّة التي كانت معروفة في زمانه، وظلّ المرجع الوحيد المعترف به في جامعات أوروبا حتى القرن السّابع عشر، ونذكر من قدماء مؤرخي العرب في "التاريخ" **الطبري(ت 315هـ)** الذي ألّف في أواخر القرن التّاسع من الميلاد تاريخًا عامًا عن الزمن الذي مرّ منذ بدء العالم إلى سنة 914م، ومن مؤرخي العرب المشهورين **المسعودي(ت 956م)** الذي عاش في القرن العاشر من الميلاد، فألّف عدّة كتب في التّاريخ ككتاب الزمان، وكتاب مروج الذّهب وفي الكيمياء يعتبر **جابربنحيان(ت815م) من** مؤسسي هذا العلم، فهو الذي نظم كثيرا من طرق البحث والتحليل وركّب عددا من المواد الكيماوية، وكانت أبحاثه وما توصل إليه من معلومات هي المراجع الأولى في أوربا حتى القرن الثامن عشر الميلادي وله الكثير من المخطوطات نحو: **مخطوط الأسرار، والخواص الكبير**.

أما في علم الفلك فنجد العالم **البتاني** الذي عاش في القرن التاسع وتوفي سنة**(929م)** والذي كان له من الشأن بين العرب ما لبطليموس بين الأغارقة وقد احتوى كتابه **زيج الصابي** على معارف زمنه الفلكية وفي علم الاجتماع يعتبر **ابن خلدون (ت1406م)** أول مفكر اجتماعي ؛ فهو أول من صاغ قوانين تقدم الأمم وانهيارها ، وأول من عرف للعوامل الطبيعية والجغرافية والمناخية تأثيرها وأهميتها في ذلك في كتابه المقدمة الموسوم بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (لوبون، 2012، صفحة 586).

الخاتمة:

من خلال عرضنا لهذه الورقة البحثية رصدنا القيمة العلمية والمعرفية للمخطوط العربي ودوره المنوط في إرساء دعائم الحضارة الغربية الحديثة، فالحضارة الإسلامية كان لها الفضل في نشر العلوم والحفاظ على منابتها الأصلية، فمنذ بزوغ فجر الإسلام وظهور القرآن أدرك المسلمون أن رقيهم يكمن في طلب العلم ،لذلك شجعوا طلبتهم على التدارس وخصصوا مكافآت مالية للمتفوقين وشجعوا على التأليف فظهرت بيوت الحكمة ، وحفظت فيها مختلف أنواع الكتب في شتى المجالات واللغات كما أنهم شجعوا نقل وترجمة معارف الحضارات القديمة مثل حضارة اليونان والاغريق والهنود وهذا يدل على تشبعهم بفكر المثاقفة والتبادل العلمي.

فأعطوا الخصوصية لكل علم وحافظوا على جذوره بكل أمانة علمية، كما أنهم أقدموا على انشاء مناهجا بما يتناسب مع نسيج حضارتهم ودينهم فمثلاً لم يخضعوا لوصاية الفكر اليوناني عامة والمنطق الأرسطي

خاصة فقد تجاوزوا الحدود الصورية وأضافوا عليها وأسسوا مناهجا جديدة تخدمهم في بناء العلوم ونظراً لأهمية ما قاموا به فتحت أوروبا باب الاستشراق فترجموا كل ما وقعت عليه أيديهم من مخطوطات لأنها تحتوي على كنوز المعرفة وبفضلها تمكنت حضارة الغرب من التأسيس لحضارتهم الحديثة فلا يمكن أن تتطور الشعوب أبدا إلا بفضل الحوار الحضاري والتبادل الثقافي والمشاركة العلمية
من خلال ما تقدم ذكره سنقف على جملة من النتائج التي تم التوصل إليها.

- المخطوط يعتبر ثروة علمية متنامية لا يجب إهماله
- دور العلماء المسلمين لم يقتصر على الترجمة وإنما تخطى ذلك إلى الدراسة والتحليل والنقد والتصحيح ثم الابتكار والإضافة.
- حفظت الحضارة الإسلامية لحضارات العالم الحديث ما وصلت إليه حضارة الأقدمين، كما أضافت إليه ما ابتكرته وتوصلت إليه في مختلف العلوم والفنون
- تكمن قوة وعظمة الحضارة العربية الإسلامية في ظهور الإسلام بما أرساه من دعائم تحث على العلم والمساواة.
- المخطوطات ثروة قومية يجب استثمارها وتطويرها ولا يتم ذلك إلا بتضافر جهود الباحثين والعلماء في هذا المجال.

قائمة المصادروالمراجع:

ابن خلدون. (1993). *المقدمة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. (1979). *مقاييس اللغة، ج1*. القاهرة، مصر: تحقيق: عبد السلام هارون، دار العلوم، مادة بحث.

السيد السيد النشار. (بلا تاريخ). *في المخطوطات العربية*.

السيد النشار. (1997). *في المخطوطات العربية*. الإسكندرية: دار الثقافة العلمية.

إيمان بن محمد. (بلا تاريخ). أساسيات البحث الوثائقي في الترجمة مجلة اللسانيات، المجلد 24، العدد 02. *الجزائر*، 129.

بطرس البستاني. (1870). *معجم محيط المحيط، ج1*. لبنان: مكتبة لبنان.

حكمت نجيب عبد الرحمن. (1977). *دراسات في تاريخ العلوم عند العرب*. بغداد: المكتبة الوطنية .

ربحي مصطفى عليان. (بلا تاريخ). *البحث العلمي أسسه ومناهجه وأساليبه وإجراءاته*. الأردن: مكتبة دار الأفكار الدوليّة.

رمضان عبد التواب. (1985). *مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين*. القاهرة: مكتبة الخانجي، القاهرة.

رمضان عبد التواب. (بلا تاريخ). مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين.

رمضان عبد التواب. (بلا تاريخ). مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين.

سماء زكي. (1999). *المحاسني، دراسات في المخطوطات العربية*. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

عبد الستار الحلوجي. (2001). *المخطوطات والتراث العربي*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانيّة، القاهرة.

عبد السلام هارون. (1998). *تحقيق النصوص ونشرها*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد الله أنيس طباع. (1986). *علم الإعلام الوثائقي*. لبنان: لبنان.

عبد المجيد دياب. (القاهرة). تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره. *1993* ، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف.

علي بن إبراهيم. (2003). *الحمد النملة، المستشرقون ونشر التراث، الرياض*. الرياض: فهرسة مكتبة فهد الوطنية.

غوستاف لوبون. (2012). *حضارة العرب*. القاهرة: ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

محمود محمد الطناجي. (1404). *مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي*. مكتبة الخانجي.

(بلا تاريخ). *مستشرق إنجليزي، تخصص في التّصوّف والأدب الفارسي* .

مصطفى الطوبي. (2014). علم المخطوط العربي سنة 2014م. ، *مجلة الوعي الإسلامي، العدد 79، الكويت، ط1* ، 14.